بسم الله الرحمن الرحيم

أهل الشام والشتاء ١٤٣٦/٣/٢٥هـ

الحمد لله مدبر الأكوان، أحمده سبحانه وهو الرب الجليل عظيم السلطان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كل يوم هو في شأن، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله الهادي إلى صراط الملك الديان، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه وعمل بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: إن الله تعالى خلق الأرض والسماء، وأوجد اليابس والماء، وهو الذي يأتي بحرارة الصيف وبرودة الشتاء، يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

عباد الله: في هذه الأيام نعيش حالة استنفار عامة، لحلول فصل الشتاء ، فترى الناس زرافات ووحداناً، يتوافدون إلى الأسواق؛ لشراء طعام الشتاء وشرابه ولباسه وكسائه، وهذا أمر لا غرابة فيه، بل إن فعل ذلك من محض الأسباب، التي يسرها وسخرها الله سبحانه للناس. فالناس يتقون برد الشتاء، ويحتاطون من خطره، بما سخر الله لهم من الأسباب، ويتنافسون في التدثر بالملابس، ويوصي بعضهم بعضا بذلك، لكن هناك أمراً غفل عنه الكثير أو يجهلونه، وهو أن هذا التغير الكوني في فصول السنة، ينبغي ألا يمر دون تفكر وتأمل فيه، فما خلق الله شيئاً إلا لحكمة.

وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يذكّر أصحابه بأن تغير الأحوال وتعاقبها، فيه حكم وأحكام، فخرج (خ م) من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ».

عباد الله: قد ينزعج بعض الناس من برودة الشتاء كما يتضايق البعض من حر الصيف، وفي كلٍ منهما مصالح وحكم. قال العلامة ابن القيم:" ثم تأمل لو كان الزمان كله فصلا واحداً، لفاتت مصالح الفصول الباقية فيه، فلو كان صيفا كله، لفاتت منافع ومصالح الشتاء، ولو كان شتاء لفاتت مصالح الصيف، وكذلك لو كان ربيعا كله أو خريفا كله. -إلى أن قال:- ففي الشتاء تغور الحرارة في الأجواف، وبطون الأرض والجبال، فتتولد مواد الثمار وغيرها، وتبرد الظواهر، ويستكثف فيه الهواء، فيحصل السحاب والمطر، والثلج والبرَد، الذي به حياة الأرض وأهلها، واشتدادُ أبدان الحيوان وقوّتها، وتزايد القوى الطبيعية، واستخلاف ما حللته حرارة الصيف من الأبدان، وفي الربيع تتحرك الطبائع، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء، فيظهر النبات، ويتنور الشجر بالزهر، ويتحرك الحيوان للتناسل، وفي الصيف يحتد الهواء ويسخن جداً، فتنضج الثمار، وتنحل فضلات الأبدان والأخلاط التي انعقدت في الشتاء، وتغور البرودة، وتهرب إلى الأجواف، ولهذا تبرد العيون والآبار، فإذا جاء

الخريف، اعتدل الزمان، وصفا الهواء وبرد، فانكسر ذلك السموم، وجعله الله بحكمته برزخا بين سموم الصيف وبرد الشتاء" أ.هـ

عباد الله: جاء الشتاء وجاء معه الاحتساب وتحمل المكاره، فإسباغ الوضوء في ليلة باردة على المكاره، من أسباب رفع الدرجات، ووضع الخطيئات، قال عليه الصلاة والسلام (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؛ قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط) ومفارقة لذة النوم، وجهاد النفس على صلاة الفجر خاصة، من أسباب الأجر والثواب ، فعند (د ت) عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة». فهنيئاً لك يا من جاهدت نفسك، واستعنت بالله، وخرجت متوضأً متحملاً شدة البرد، ابتغاء مرضاة ربك.

عباد الله: لقد عذّب الله أقواماً بالريح الباردة ، كقوم عاد كما قد ذكر ذلك أهل التفسير، وتَذْكُرُ عَائِشَةُ - رضي الله عنها - حال النَّبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - إذا رأى غَيْمًا فتقول: كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِّ! أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوا الغَيْمَ فَرِحُوا؛ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةَ؟! قَالَتْ: فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ؛ فَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾».

عباد الله: جاء الشتاء ليذكرنا ببعض نعم الله علينا ، ومن ذلك نعمة الأمن ورغد العيش الذي نتقلب فيه في هذه البلاد بحمد الله، فمهما اشتد البرد فإن لديك الملابس الواقية، والمدافيء الحامية، ولديك بيت يؤويك، وفراش يقيك، ولحاف من البرد ينجيك، لكن لك إخوانا كانوا في مثل حالك اليوم، فاستخفهم دعاة الضلالة، ومثيروا الفتن، ومؤججوا المظاهرات، فأخرجوهم من شاهق القصور، وعامر الدور، فقتل رجالهم، وترملت نساؤهم، وتيتم أطفالهم، وتبدل أمنهم خوفا، وعزهم ذلا، وغناهم فقرا، وبيوتهم ملاجئ، وقصورهم خيام، كانت منتوجاتهم الصوفية تباع عندنا وتشترى، واليوم تعود لهم من المحسنين على صورة صدقات.

وبعد أن أوصلوهم إلى هذا المصير، عادوا يتاجرون بقضيتهم، ويتراقصون على جراحهم، رافعين الصوت، ادعموهم، ارحموهم، أين التواصل؟ أين التكافل؟ أين الجسد الواحد؟ أين قادة المسلمين؟ أين العلماء؟ فإذا دعمهم القادة ، وسمحوا بجمع التبرعات، وأرسلوا المعونات، عادوا إلى الردح من جديد، لماذا تخرجون أموالنا، أما ترون فقراءنا، أنتم كالنخلة العرجاء، ثمرها لجيرانها، فلا سلامة من هؤلاء الغوغاء فهم يأكلون مع الذئب ويبكون مع الراعي.

فتذكر أولئك بدعوات صادقة ، وأكف ندية، وقلوب حانية،ينبغي أن يتذكر المؤمن إخوانا له ، يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء، وقد عصفت بهم الحروب والفتن من كل حدب وصوب.

الحمد لله

عباد الله : في الشتاء : تذكروا سماحة الإسلام ويسره، ورفقه بأهله، وعنايته بأبنائه، فلقد شرع لنا المسح على الخفين، للمقيم يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن ، وشرع الجمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء في حال المطر، وتعسر الطرق، كما شرع لنا الصلاة في الرحال إذا اشتد البرد وخشي الناس فعند البخاري ومسلم من حديث نَافِع قَالَ : أَذَّنَ ابْنُ عُمَرَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ بِضَجْنَانَ ، ثُمَّ قَالَ : صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُ مُؤَذِّنًا يُؤَذِّنُ ، ثُمَّ يَقُولُ عَلَى إِثْرِهِ : «أَلا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ» فِي اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ أَوْ الْمَطِيرَةِ فِي السَّفَرِ . وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لِمُؤَذِّنِهِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ : إِذَا قُلْتَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُّ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ ، فَلا تَقُلْ : حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ ، قُلْ : صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ ، قَالَ: فَكَأَنَّ النَّاسَ اسْتَنْكَرُوا ذَاكَ فَقَالَ : أَتَعْجَبُونَ مِنْ ذَا، قَدْ فَعَلَ ذَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، إِنَّ الْجُمُعَةَ عَزْمَةٌ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُحْرِجَكُمْ فَتَمْشُوا فِي الطِّينِ وَالدَّحْضِ. رواه البخاري، ومسلم ، قال النووي رحمه الله يجوز أن يقول صلوا في رحالكم بعد الأذان أو أثناءه جمعا بين الأحاديث...